جولة المبادىء والمصالح

بقلم: د. عبدالرحمن بن سبيت السبيت

جاءت الجولة الموفقة التي قام من خلالها صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ـ يحفظه الله ـ بسلسة من الزيارات الى الدول الصديقة، تتويجاً لعلاقات تاريخية طويلة، جمعت المملكة العربية السعودية منذ قيامها على يد القائد المؤسس الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ مع الدوائر العربية والإسلامية والدولية، واستمرت هذه العلاقات حتى اليوم.

والمملكة تسعد بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ـ ايده الله ـ الذي تابع في هذه الشؤون مسيرة الملك المؤسس مع اخيه ولي العهد الأمين وبقية اخوانه البررة.

وفي عصرنا هذا الذي يودع العالم فيه القرن العشرين الميلادي ويتحفز للدخول الى عالم جديد في القرن الحادي والعشرين، كان لا بد للقيادة العربية السعودية ان تقوم بالتوكيد على حقائق موقفها في هذا العالم، لتبرز المبادئ العربية والاسلامية التي توجه رؤيتها نحو العالم ونحو الحضارة الاسلامية ونحو طبيعة التغيرات التي تطرأ على العلاقات الدولية من خلال المعطيات الجديدة في النظام العالمي.

لم تكن قيم النفط الاقتصادية البحتة هي التي تشع في احاديث القيادة السعودية، بل كانت شمائل العروبة الاصيلة ومبادىء الاسلام هي التي تنير الطريق للمملكة. ولم تكن المصالح الضيقة الانانية هي التي تحدد موقفها بل كانت النظرة الانسانية المسؤولة التي ترعى الجوار والاخاء والصداقة هي التي اسست منهج المملكة وتوجيهات قيادتها.

في خضم هذه العلاقات الدولية المتشابكة اكتسبت الزيارات التي قام بها الأمير عبدالله اهمية خاصة وقد كانت زيارات ناجحة على كل الصعد السعودية منها والعربية والاسلامية. فقد استطاع الامير عبدالله ان يوضح بشكل جلي ان للمملكة العربية السعودية مصالح مشروعة لا بد من رعايتها وأخذها بعين الاعتبار والدفاع عنها في الميادين السياسية والتجارية والاقتصادية والمالية والاعلامية والثقافية، لانها مصالح حيوية تقوم عليها المملكة ورفاهية شعبها وامنها واستقرارها، في الوقت الذي اوضح الامير عبدالله ايضا بأن هذه المصالح السعودية لا تتعارض مع مصالح الاصدقاء ولا تغفلها وتحرص على مصالح الاشقاء والجيران، ذلك ان النهج السعودي قائم على التوازن في العلاقات المتبادلة والانسجام في المنافع المشتركة. وكان صريحاً في بيان هذه النقطة وهو بهذا يسجل موقفا اخلاقيا اكد من خلاله ان المملكة العربية السعودية دولة يخضع اقتصادها لاخلاقياتها وتنبع سياساتها من مبادئها الاسلامية وشمائلها العربية.

• زيارات سمو ولي العهد اكتسبت أهمية خاصة في ظل العلاقات الدولية المتشابكة وقد حققت الزيارات نجاحات كبيرة.

وحمل سمو ولي العهد مع همومه الوطنية هموم القضايا العربية وتولى شرحها للاصدقاء والدفاع عن مصالح الامة العربية فهي امة لا يستهان بها لها تاريخها وحضارتها.

ووضع سموه النقاط على الحروف في العديد من احاديثه، فدعا لوحدة الصف العربي وضرورة ضم الجهود وتعبئة الامكانات والقدرات العربية وحتمية التعاون العربي ولاسيما امام الجرح العربي النازف ابداً وهو قضية فلسطين. لقد تساءل سموه مراراً: الى متى سوف تستمر اسرائيل بالاعتماد على الغير والاستقواء بالآخرين؟ واكد سموه أن وحدة الكلمة العربية هي المفتاح لكل طريق يسلكه العرب نحو العزة والأمن ورفعة مجتمعاتهم وإقامة تعاونهم ووحدتهم.

خلال هذه الجولات الطويلة لم يتأخر سموه مرة في التأكيد على الرابطة العقائدية الاسلامية بوصفها الحبل المتين والرباط بين

الاخوة في الدول الاسلامية.

وحض سموه على ضرورة التماسك وتنمية العلاقات بين هذه الدول لتكون ذخراً للانسانية جمعاء، مثلما هي ذخر لشعوبها. ولعل اللمسة الانسانية الاسلامية من سموه التي ألهبت النفوس حماسة هي تفقد سموه للاقليات الاسلامية في البلاد التي زارها والاطمئنان على نيلها لحقوقها والدعوة لصون كرامتها. في الوقت الذي حث سموه هذه الاقليات على التفاعل مع مصالح اوطانها وعلى خدمة هذه الاوطان ليكون سلوكها هو افضل دعوة للاسلام، لأن هذا الاسلام العظيم انتشر في معظم انحاء العالم من خلال سلوك ابنائه الذين كانوا قدوة للآخرين في الاعتدال والسماحة والامانة ونظافة الخلق وطهارة الانساب.

ولعل من ابرز محاور المناقشات التي خاضها سموه مع رجال الفكر والادب والاعلام الذين تحدث اليهم، انه حرص على إظهار سماحة الاسلام واعتداله وأصر على ان الاسلام هو دين الشرف والعزة، منكراً سموه اي ارتباط بين مبادىء الاسلام وعقائده وسلوكياته وبين الارهاب والاعمال التخريبية التي يقوم بها جاهل او مغرر به لا يمثل الا نفسه. وجاءت مواقف سموه توصي على التأكيد على الوسطية والاعتدال في سلوكيات المسلم والتأكيد على العقلانية والروح الانسانية في علاقات المسلم مع اخوانه واصدقائه وجيرانه، لأن العالم اليوم قد اصبح بيتاً واحداً من عدة غرف او اصبح كما يقال قرية صغيرة. لقد ابرز الامير عبدالله ان الدعوة الاسلامية دعوة موجهة لكل البشرية ولخير كل البشرية ، وقد كانت اللقاءات التي عقدها سموه مع الجاليات العربية والاسلامية لقاءات تفيض بالحكمة والمناقشات الهادفة التي تسلط الاضواء على المشكلات بروح مستمدة من ديننا ومبادئه السمحة.

وأينما حل سموه حرص على اللقاء مع السفراء العرب والمسلمين وتبادل معهم المشورة والخبرات، وحرص حفظه الله على توصيتهم بالتعاون وتنسيق الاعمال ونبذ الخلافات وتوحيد الجهود والبعد عن التفرقة لانها مكمن الداء واساس البلاء العربي.

وكان دائما معهم صريحاً واضحاً، أحب ان يكون كل واحد منهم سفيراً لا لوطنه فحسب بل لوطنه الكبير العربي الاسلامي. لقد استنهض الهمم، وألهب النفوس والعزائم بالحماسة ، ودخل الى القلوب والعقول بالحكمة والحنكة والكلمة الطيبة.

لقد برز صاحب السمو الملكي الامير عبدالله بوصفه رجل دولة وقامة عربية إسلامية فارعة مخلصاً في الدفاع عن مصالح بلاده وامته، وفي نفس الوقت دافع ايضا عن مصالح الاشقاء والاصدقاء، لانه كان يعبر عن الوجه الانساني للاسلام وللأمة العربية والاسلامية، وكان داعية صادقاً لا لصون مصلحة العرب والمسلمين فحسب بل ولصون المصالح من اجل الانسانية جمعاء.

الأمير عبدالله بن عبدالعزيز مسؤول رفع رأس بلادنا عاليا واثبت انه رجل دولة من طراز رفيع لانه من مدرسة عبدالعزيز، فلا ريب ان كانت محبته تسكن القلوب، ليس في قلوب ابناء وطنه المملكة العربية السعودية فحسب، بل وفي قلوب أبناء امته العربية والاسلامية، وفي قلوب الاصدقاء، وذلك لانه احب أمته وأخلص لها وحمل في قلبه الكبير هموم الانسان في هذا العالم.